الباب الرابع

كيفية التعامل مع القمع

الفصل الأول

التعامل مع القمع المحدود

يبرع نشطاء اللاعنف حول العالم في ابتكار تكتيكات للحفاظ على سمة مهمة لمسار اللاعنف، ألا وهي المظهر الحضاري للنشاط. وهم في هذه التكتيكات لا يدَّعون أنهم يمنعون القمع، لكنهم يركزون على نزع أي مبرر لاستخدام القمع من قبل قوات القمع، ليفوزوا في النهاية بالتأييد الشعبي.

وسنتناول في هذا الباب الأنواع التالية من القمع:

* قمع محدود: أسلحة غير مميتة (**مثل العصي وقنابل الغاز**).
* قمع مفرط: أسلحة مميتة (**مثل الأسلحة النارية الخفيفة والمتوسطة والثقيلة**).
* الاعتقال.

وسنبدأ في هذا الفصل بالقمع المحدود، مستعرضين بعض التكتيكات التي تستخدم في عالم اللاعنف، وهي خاصة بحالات التظاهرات أو الاعتصامات التي يُتوقع فيها قمع محدود من قوات مكافحة الشغب، والأهم من التكتيكات ذاتها فهم منطق التفكير الذي انطلق منه من صمم هذه التكتيكات، وهو ما سنشير إليه في النهاية في سياسات التعامل مع القمع المحدود.

وتندرج التكتيكات تحت ست استراتيجيات أساسية:

* أولاً: استراتيجية إزالة التوتر.
* ثانيًا: استراتيجية تقييد الذات.
* ثالثًا: استراتيجية إظهار الشجاعة.
* رابعًا: استراتيجية الاقتراب الحذر (**في حالة المنشآت الحيوية**)
* خامسًا: استراتيجية التشتيت.
* سادسًا: استراتيجية تجنب المواجهة.

أولاً: استراتيجية إزالة التوتر

وتندرج تحتها مجموعة من التكتيكات التي تهدف إلى تقليل توتر المحتجين وقوات الشرطة على السواء. نذكر منها:

تقديم شخصيات لها وجاهة لتتقدم الصفوف الأمامية مثل العلماء، أو قدامى المحاربين الذين يمكن أن يديروا حواراً بلطف مع الجنود، كما أنهم يفهمون التركيبة النفسية للجندي ويقدرونها، وقد حدث ذلك في صربيا عام 2000م.[1]

تقديم جيش المهرجين2: وهي مجموعات تلعب دور المهرجين، تتقدم المظاهرات لتقلل من حدة التوتر، ويمكن استبدالها بمجموعة ترتدي أزياء خاصة مثل أشكال الحيوانات أو الفواكه.

صورة 35: **جيش المهرجين يتقدم الصفوف ويفصل بين المتظاهرين وقوات الأمن.**

---

1 How to start a Revolution (2011). Ruaridh Arrow, D.C. DVD, 180 Min., UK: TVF International.(نشرت النسخة المدبلجة من الفيلم تحت عنوان "أستاذ الثورة" على قناتي الجزيرة وبي بي سي العربية)

2 للتعرف على "جيش المهرجين" انظر الملحق.

صورة 36: الشرطة الكورية تصاب بخيبة أمل حين جاءها قرار بالذهاب لفض تظاهرة فوجدت الاحتجاج علىٰ هذا النحو.

صورة 37: محتجون يرتدون زيًا يوحي بأنهم موتىٰ.

تقديم كبار السن والعائلات في الصفوف الأمامية، وهي بطبيعتها لن تكون متوترة، ومن ثم تزيل التوتر من الطرف الثاني الذي يمكن أن يفقد أعصابه في حالة رؤيته وجوهاً غاضبة متوترة.

دعوة متحدي الإعاقة لتصدر الصفوف على كراس متحركة، لتأكيد السلمية وأنه لا توجد أي نية للاشتباك والعنف، ولصناعة معضلة لقوات القمع على الناحية الأخرى، هل تضرب أناساً لا يقدرون على الحركة؟ وأتوا لمجرد التعبير عن رأيهم؟ إن متحدي الإعاقة بإرادتهم وشجاعتهم قد يكونون هم الأكثر قدرة على إعاقة القوى الأمنية. ويمكن عمل نفس الأمر مع كبار السن، من خلال توفير مجموعة من الكراسي في الصفوف الأولى لتأكيد السلمية، وأنهم يحمون كلاً من الشباب وقوات القمع من العنف.

شغر الصفوف الأمامية بمجموعات مدربة على ضبط النفس وإجراء حوار مع رجال القمع، وتعرف بمجموعات "حفظ السلام، مثلما يحدث في بعض التظاهرات الأوروبية. وقد تستخدم هذه المجموعات من وسائل الحماية ما يساعدها على تخفيف أثر الضرب وقنابل الغاز، مثل خوذة الرأس والدروع بأنواعها المختلفة. كما تكون مدربة على نظام الدفاع عن النفس اللاعنيف،[1] الذي يمكنها من التعامل مع الضربات بشكل دفاعي بدون هجوم، سواء كان بهدف فض اشتباك بين المحتجين، أو الهروب من الضربات.

---

1 في إطار الاهتمام بتطوير بدائل عن استخدام العنف، ابتكر ويليام بول الطبيب النفسي في جامعة هارفارد في عام 1970 نظاماً للدفاع عن النفس بدون عنف، أطلق عليه Nonviolent Self Defense (NSD). وهو نظام متكامل من مهارات الدفاع عن النفس يعتمد على التحكم في حركة الجسد بمهارة ومرونة، من خلال الهروب، والتفادي، وفك الاشتباك، وضبط النفس. وهذا النظام لا يسمح بأي حركة هجومية، مثل الركل والضرب، وأصبح يستخدم في الولايات المتحدة في قطاعات متعددة للتدخل بدون عنف لحل الأزمات. وهو لا يصنف في الألعاب القتالية "Martial Art" ، بل على العكس يطلق عليه "Un-martial Art"، فهو يحدد الاستجابة المناسبة للتعامل مع العنف المقابل، وقد استوعب الأسلوب أغلب الوسائل الدفاعية الموجودة في ألعاب الدفاع عن النفس، بمنهجية مقصودة، ويعتمد على الحركة الطبيعية والغريزية للجسد، وقابلية التكيف.

الجدار البشري الفاصل: يتكون من عشرة صفوف أو أكثر بحسب الحاجة يفصل بين المحتجين والشرطة.

وضع ساتر كبير يحجب المتظاهرين عن أعين رجال القمع والعكس، قد يكون هذا الساتر من القماش أو من مواد بلاستيكية أو معدنية بما يشبه الجدار العازل. وقد يكتب أو يرسم عليه بحيث يوصل رسالة لقوات القمع، ويحمل رسالة أخرىٰ علىٰ الناحية الثانية للمحتجين. كما يمكن وضع حواجز أشبه بالحواجز المرورية المعدنية والتي تترك مسافة كبيرة بين المحتجين وقوات القمع.

النوم أرضـًا في الصفوف الأمامية لقطع الطريق علىٰ أي متظاهر يحاول الاقتراب من قوات القمع، وفي نفس الوقت تأكيد أن أي اعتداء يمكن أن يتم فهو من جانب واحد.. هو قوات القمع. ويمكن أن تكون التظاهرة كلها علىٰ نفس الهيئة علىٰ امتداد عدة أمتار.. فلا مجال للاشتباك هنا إلا من طرف واحد.

صورة 38: **متظاهرون يستلقون أرضـًا في الصفوف الأمامية ليؤكدوا موقفهم السلمي، ويضعوا قوات القمع في موقف المجرم إن حاولت البطش بهم.**

صورة 39: **المحتجون يفترشون الأرض ليؤكدوا سلميتهم.**

الجلوس أرضـاً في الخطوط الأمامية مع تماسك الأذرع، وعدم التحرك من المكان قدر الإمكان مهما حدث من قمع (**محدود**). فإن فقدت المجموعة قدرتها علىٰ التحمل أو اعتقلت، تحل محلها مجموعة أخرىٰ. ويهدف الجلوس أيضاً إلىٰ تأكيد عدم الرغبة في أي اشتباك أو القيام بأية مواجهة. كذلك يمكن أن تتم التظاهرة بأكملها جلوساً مع مراعاة وجود مسافات بين صفوف المقاومين.

صورة 40: **المحتجون في حركة احتلو وول ستريت يجلسون أرضاً وتتشابك أذرعهم ولا يتحركون.**

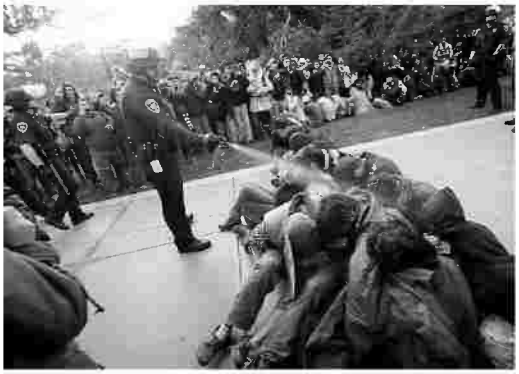

صورة 41: **المحتجون في حركة احتلوا وول ستريت يجلسون أرضاً وتتشابك أذرعهم ولا يتحركون.**

صورة 42: **متظاهرون في الدانمارك يجلسون أرضاً بشكل منظم في تظاهرة ضمت مائة ألف شخص.**

الجلوس أرضاً مع إعطاء الظهر لقوى القمع لتجنب أي استفزار، مع تشابك الأذرع، وقد يتم ذلك أيضاً على مدى صفوف طويلة، ليصبح هذا هو تكتيك التظاهرة بالكامل. فلا يوجد أي مبرر للقول باستفزاز المحتجين لشرطة. ويمكن أن يجلس كل شخص بعكس المجاور له، أحدهما وجهه للشرطة والآخر ظهره، حتى يمكن تحذير المجموعة وتأهبها في حالة تقدم القوات. ويتماسك المحتجون قدر استطاعتهم، دون مهاجمة الشرطة، ويتدربون على هذا التكيك لفترات طويلة.

صورة 43: **محتجون يتكاتفون ويجلسون أرضـاً معطين ظهرهم للشرطة، فلا مجال للاستفزاز.**

ثانياً: استراتيجية تقييد الذات

وتندرج تحتها مجموعة من التكتيكات التي تبالغ في إيصال رسالة استحالة استخدام المحتجين للعنف، فقد قيدوا أنفسهم ذاتياً، مما يقلل توتر قوات الشرطة والمحتجين على السواء. نذكر من تكتيكات هذه الاستراتيجية:

تكتيك سلسلة المواسير: يستخدم لربط المتظاهرين معاً في سلسلة واحدة من خلال المواسير البلاستيكية أو المعدنية، مما يؤكد أن المتظاهرين ليسوا مسلحين أو في نيتهم إلقاء أي شيء على قوى القمع، كما تقلل عدد المتظاهرين في الصف الواحد، فتحد من فرص الاشتباك. كذلك تجعل التفريق بينهم واعتقالهم فرداً فرداً أمراً صعباً. ويقوم المتظاهرون أحياناً بتقوية المواسير بحيث لا يمكن كسرها من المنتصف من خلال تغطيتها بالخرسانة والقار وشرائط لاصقة. ويمكن كتابة أي رسالة على المواسير. كما يمكن استخدامها في وضع الجلوس أو النوم بحسب الحاجة كما هو موضح في الصور.

صورة 44: مجموعة تعتصم وقد ربطت نفسها بالمواسير لتأكيد سلميتها، كما أن هذه التكنولوجيا من شأنها تقليل عدد المشاركين والحفاظ على الموارد البشرية.

صورة 45: **شرطي يحاول نشر ماسورة وكسرها حتىٰ يتمكن من فصل المحتجين**

تكتيك السلاسل: تربط مجموعها أيديها بسلاسل متصلة. تمنعها من الحركة وإمكانية خوض أي مواجهة.

صورة 46: **مجموعة من حركة الجرين بيس يربطون أنفسهم بالسلاسل المتصلة.**

تكتيك السجين: يظهر فيه المحتجون في هيئة السجناء، فبدلاً من الوقوف، يتم الجلوس أرضاً مع تغطية الوجه، وتقييد اليدين من الخلف **(إما بشكل تمثيلي أو حقيقي)**. ويمتاز هذا التكتيك باستحالة ادعاء لجوء المحتجين للعنف، فهم لا يرون من أمامهم، وأيديهم مكبلة، ويجلسون على الأرض.

صورة 47: **احتجاجاً على اضطهاد المعتقلين في سجن جوانتانامو، محتجون يجلسون أرضاً، ويغطون وجوههم، ويضعون أيديهم خلف ظهورهم. ورغم أن تغطية الوجه في أنشطة اللاعنف غير مرغوب فيها بصفة عامة لأنها توحي بنية القيام بأعمال شغب، إلا أنها في هذه الحالة – على العكس تماماً- تقوم بدور إيجابي، وتؤكد عدم الرغبة في الصدام.**

ثالثاً: استراتيجية إظهار الشجاعة

تندرج تحتها مجموعة من التكتيكات التي تهدف إلىٰ إظهار شجاعة المحتجين، وأنهم لا يخافون العقوبة، ومن هذه التكتيكات:

الاستبسال حيث تتقدم الصفوف الأولىٰ مجموعات مستعدة لتلقي الضربات دون أن تبدي أي مقاومة تذكر، فإن سقط صف تبعه صف آخر وهكذا، وهو تكتيك يتطلب شجاعة كبيرة، وكان غاندي يدعو إليه، لأنه يلفت أنظار عموم الشعب بل والعالم إلىٰ عظمة القضية وصدق التعبير عنها. كما دعا إليه الخميني في الثورة الإيرانية عام 1979، حين أمر أتباعه بتلقي الموت بصدر عار، دون إبداء أي مقاومة، ولم يكن ذلك أمارة ضعف بل برهان قوة والتزام بخطة من شأنها كسب تأييد شعبي واسع. كما كانت المشاهد الأوسع انتشاراً وتأثيراً في الجماهير في الثورات العربية المعاصرة هي مشاهد الاستبسال وتحدي القمع.[1] ويقوم مبدأ هذا التكتيك علىٰ ما قاله غاندي: «**قد يحصلون علىٰ جثتي.. لكنهم لن يحصلوا علىٰ طاعتي**»، وهو ما يضع آلة القمع في معضلة.

---

1 خلدت الثورات العربية اللاعنيفة صور من تحدوا آلة القمع بصدور عارية، وانتقت الذاكرة الشعبية هذه اللقطات لتخزنها، واستبعدت بشكل انتقائي مشاهد أخرىٰ عنيفة، وكأنها لا تحتفي بهذه المشاهد. اختارت الشعوب المشاهد التي تظهر عظمة الإنسان وقوته في مقابل الآلة القمعية. اختارت أن تخلد صور أناس لا يعرف أحد ماذا كانوا يفعلون علىٰ سبيل التحديد، وماذا ألحقوا بخصومهم من أضرار.. كل ما عُرف عنهم أنهم فقدوا عيونهم في شوارع الحرية!! اكتسبوا جدارة أن يُخلد ذكرهم لأنهم ضحوا، لا لأنهم هاجموا خصومهم أو قتلوهم. هذه الذاكرة الانتقائية تعكس قيمة ما يقوم به هؤلاء الأبطال، فهم لا يتحدون القمع فحسب؛ بل يشكلون ثقافة ووعي شعوب بأسرها. ينتصرون للمسار اللاعنيف في عيون الناس، فيكسبونه هالة من العظمة والرقي.

صورة 48: **محتج صيني يواجه الدبابة بدون سلاح في ساحة تيانانمن عام 1989.**

عدم إبداء أي مقاومة مع أعمال الاعتقال: مع الحرص على إيصال الرسالة المراد إرسالها، كما تحدثنا في قاعدة استثمار القمع والاعتقال في إدارة حوار.

تسليم النفس للشرطة: فبعض المجموعات عندما تقوم بأعمال فيها انتهاك قانون تعلن مسئوليتها الكاملة، وتسلم نفسها للشرطة. فهم ليسوا مجرمين، وقد اخترقوا القانون الجائر لكنهم ليسوا ضد فكرة وجود القانون، فقط أرادوا تسليط الضوء على الظلم الواقع. وقد كان غاندي يرى بأن عليه أن يتحمل عقوبة فعله لا أن يفر منها. وهذا التكتيك في النهاية يخضع للحالة التي تمر بها المقاومة، والقضية التي هي بصددها، ومدى فائدته أو ضرره. هو ليس ملزماً لكنه خيار قد يكون مفيداً في بعض الحالات.

السعي لدخول السجن: يسعى كل من لم يعتقل إلى تسليم نفسه، فإن كان النظام يرى أن ما قام به المحتجون جريمة، فهناك عشرات الآلاف مشاركون أيضاً في هذه الجريمة ومستعدون لتلقي العقاب. هذا التكتيك يحرك القضية إعلامياً

بشكل كبير. ويؤكد أن ما قام به المحتجون ليس تهجماً على فكرة القانون، ولكنه فقط القانون الجائر. مثلما حدث خلال إضراب المعلّمين في النرويج عام 1942، وبعد أن تم اعتقال المعتصمين في مدرسة ستابك، توجّه المعلّمون الآخرون، الذين لم يكونوا موجودين في المدرسة، إلى السجن وطالبوا بأن يعتقلوا بدورهم.[1] وفي فرنسا عام 1959، توجهت مجموعة من حركات العمل المدني اللاعنفي إلى معتقل «**بول**»، حيث إفريقيون شماليون محتجزون دون محاكمة. طالب الناشطون باعتقالهم ليكونوا شهوداً على الخرق الفاضح للعدالة.[2]

رابعاً: استراتيجية الاقتراب الحذر (منشآت حيوية)

تستخدم هذه الاستراتيجية في حالات الرغبة في الذهاب إلى أماكن عليها حراسة مشددة، ويتوتر الأمن لمجرد الاقتراب منها مثل المنشآت العسكرية. ويغلب الظن على المحتجين بأن ثمة اشتباكات يتوقع حدوثها وخروجها عن السيطرة. وتندرج تحت هذه الاستراتيجية مجموعة من التكتيكات نذكر منها:

تكتيك الزرافة: هذا التكتيك يستخدم مجموعة من الوسائل، التظاهرات، والسلاسل البشرية، وإرسال الوفود. حين يرغب المتظاهرون في الخروج بآلاف المشاركين، لكنهم في ذات الوقت يخشون من الصدام؛ فإنهم يعمدون إلى أن تكون التظاهرة ثابتة في مكانها، على بعد كيلومترات محدودة من المكان الذي تتواجد فيه قوى الأمن (**أقرب ميدان على سبيل المثال**)، ويتم إرسال وفود أو مجموعات صغيرة في مسيرة رمزية ترفع المطالب، وكلما كانت الشخصيات عامة معروفة كان ذلك أدعى للتهدئة، وتشير هذه الوفود إلى أن وراءها جموع تحمل نفس المطالب وتتواجد على مسافة ليست بعيدة. كما تتصل المسافة بين مكان المنشأة (**حيث تواجد الوفد المنتقى**)، وبين الميدان

1 جين شارب، أشكال التدخل المباشر، حركة حقوق الناس، بيروت، ط1، 1997، ص111.
2 نفس المصدر السابق، ص111.

الذي فيه التظاهر من خلال سلاسل بشرية، وبذلك يتم ربط جميع مكونات التكتيك معاً.. الوفود تقف عند المنشأة، والتظاهرة تقف بعيداً ربما بمسافة ميدان أو اثنين، وتربط بينهما سلاسل بشرية. وتؤمن مداخل التظاهرة من الجهة المؤدية إلىٰ المنشأة بحيث لا يمر أحد من خلالها. وقد يستمر هذا التكتيك بشكل رمزي لمدة محدودة بشكل دوري (**مثلاً ساعة يومياً**)، لضمان عدم حدوث توتر أمني، ولتأكيد الرسالة والحرص علىٰ عدم وقوع اشتباكات. ونطلق علىٰ هذا التكتيك «**مسيرة الزرافة**»، فرأس المسيرة يبعد عن جسدها مسافة كبيرة، ويبدو الرأس وكأنه مبتور عن الجسد، لكن هذا البتر يمكن أن يساعد في بتر أي فرص لاشتباكات لا طائل منها. وهو ليس بتراً كاملاً؛ إذ يمكن عمل سلسلة بسيطة من الأنشطة علىٰ امتداد المسافة بين الرأس والجسد، كالوقوف علىٰ جانبي الطريق.

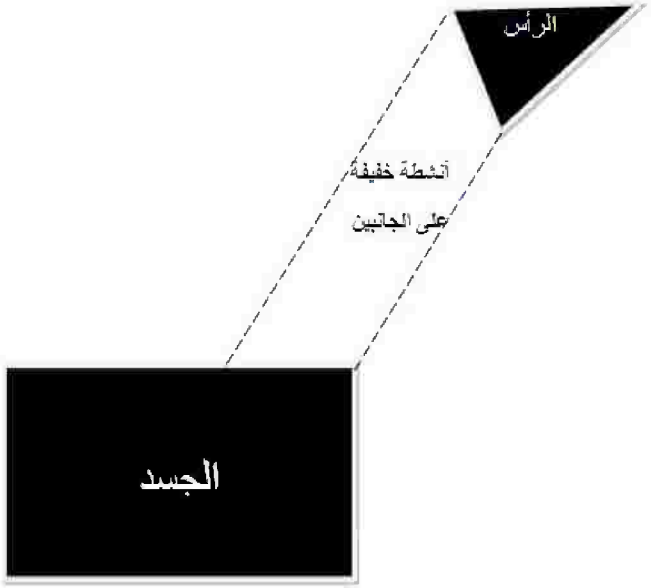

شكل 15: **تكتيك الزرافة يمكن من خلاله إيصال رسالة مئات الآلاف من المحتجين مع تحقيق هدف الذهاب إلىٰ المنشأة الحيوية مع مراعاة عدم الصدام، وذلك من خلال تجميع العدد الكبير في مكان يبعد عن المنشأة، مع**

تأمين المدخل الذي يوصل إلىٰ طريق المنشأة. أما المقدمة (الرأس) فيكون فيه خمسون شخصاً مثلاً من رموز المجتمع المعروفة. وعلىٰ جانبي الطريق المؤدي إلىٰ المنشأة يمكن أن تقف سلاسل بشرية تحمل رسائل معينة لتصل الحلقة بين المتظاهرين والوفد في مشهد رائع.

وفي مثل هذه التكتيكات يفضل أن توزع المسئوليات علىٰ حركات ومجموعات معروفة منعاً للاختراق، فحركة يكون دورها العناية بالتظاهرة وتأمين المدخل، وأخرىٰ تقوم بدور السلاسل. بحيث يتم سد الثغرات علىٰ المخربين، فكل مجموعة تعرف بعضها بشكل جيد. كما يمكن وضع شاشة عرض عند المتظاهرين ليروا ما يقوم به الوفود، كما توضع شاشة عرض عند الوفود ليروا ما يقوم به المتظاهرين، وبالتالي يشعر الطرفان أنهم جزء من عمل واحد، كما ستظهر لقوىٰ الأمن أعداد المتظاهرين الكبيرة علىٰ الناحية الأخرىٰ.

تكتيك حرف "v": ويقوم علىٰ فكرة مشابهة لتكتيك الزرافة، من حيث وجود عدد قليل في المنطقة الحيوية، مع تصميم طريقة الوقوف علىٰ شكل حرف **"v"**. ويمكن قرع الطبول بصوت مسموع، أو عمل شيء آخر في الوقفة.

صورة 49: **صورة من موقع حركة جرين بيس، يبين تكتيك "v" يبتعد**

بحكم تصميمه عن المبني أو المكان الذي يتوقع استخدام القمع فيه في حالة الاقتراب منه. ويمكن أن يدمج هذا التكتيك بتكتيك الزرافة من حيث استخدام السلاسل البشرية والحشود المتظاهرة في مكان آخر.

تكتيك النشاط الخاطف: الذي يتم سريعاً دون إعلان مسبق ودون دعوة أحد له سوى أعضاء الحركة، بحيث يتسم بعنصر المفاجأة، كما لا تطول مدته بحيث ينفض قبل أن تحدد القوات القمعية استراتيجية التعامل معه.

خامساً: استراتيجية التشتيت

تهدف هذه الاستراتيجية إلى تشتيت قوات قمع، بدلاً من أن تتركز قوتهم في منطقة واحدة. ومن تكتيكات هذه الاستراتيجية:

* المسيرات المتحركة بدلاً من الثابتة.
* أومسيرات الشوارع بدلاً من الميادين.
* أواحتلال أكبر عدد ممكن من الميادين في حالة وجود حشود ضخمة.
* التظاهر في عدة مدن بدلاً من مدينة واحدة.
* التلويح بوسيلة ثم استخدام وسيلة أخرى.

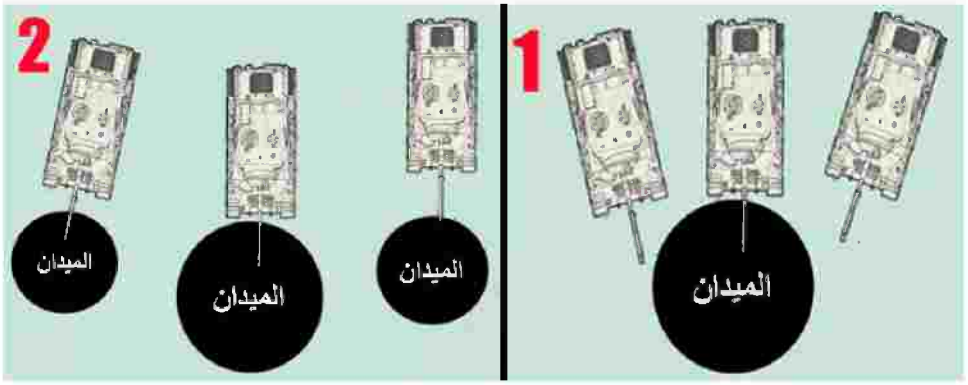

شكل 16: **في الحالة (1) لدى قوات القمع ثلاث دبابات، والمتظاهرون في ميدان واحد؛ لذلك ستتجه الثلاث دبابات لحصار الميدان، بينما في الحالة (2) توجد ثلاثة ميادين بها حشود، فستضطر قوات الأمن لتوزيع قوتها على الثلاثة ميادين.**

* **تكتيك الكتلة الرخوة:**[1] فبعد أن كان المقاومون يعتمدون على الكتلة الصلبة في الحشد بأعداد ضخمة، يتفرقون إلى كتل رخوة يصعب الإمساك بها، وتقوم بأعمال لاعنيفة أكثر نوعية، في الشوارع ووسائل المواصلات ودور السينما والمؤسسات الحكومية، وتهدي كل مجموعة هدية إلى بقية المجموعات في شكل نشاط مبهر يلفت الانتباه. حتى تتمنى قوات القمع أن ليتهم يعودون مجدداً إلى الحشود الصلبة.

كل هذه التكتيكات تشتت قوى القمع وتوزعها وتضعف من قوتها وقبضتها على الشعب، وترفع تكلفة وجودها في الشارع مادياً ومعنوياً بشكل كبير.

سادساً: استراتيجية تجنب المواجهة

اختر معاركك بعناية، وتجنب المواجهات خاصة إن كان عدوك يتوق للانتقام.[2] وفي هذه الاستراتيجية لا يتم الدخول في مواجهة مباشرة مع قوات القمع، وذلك من خلال عدة تكتيكات، **نذكر منها:**

حصار القوات: فبدلاً من حصار المبنى الذي تقف عنده قوات القمع، يتم سد الطرق المؤدية إلى المبنى، وبذلك يكون المتظاهرون قد تجنبوا المواجهة المباشرة. ويحاولون تعطيل الطرق التي يمكن أن تعود من خلالها القوات لممارسة القمع. ثم ينصرفون قبل أن يأتي إمداد عسكري جديد.

وقد تسد الطرق بشكل جزئي أو كلي بحسب الحالة ودرجة التعاطف الشعبي. ففي حالات الغضب الشديد التي تعقب جريمة للنظام، عادة ما يتساهل الشارع في هذا الأمر مقدراً موجة الغضب، وفي الحالات الثورية التي تكتظ فيها الشوارع بالمحتجين أيضاً قد يعتبر الشارع هذا التصرف جزءاً من التكلفة، إن كان حقاً يؤلم النظام.

---

1 تشي جيفارا، مباديء حرب الغوار، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1998. ص166.

2 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص9.

ويلجأ البعض إلىٰ إغلاق الطريق بتكتيك «**صناعة المعضلة**» من خلال اختلاق موقف أو حالة يكون إغلاق الطريق فيها طبيعي. وبصفة عامة تنطبق علىٰ أعمال التدخل المباشر التي قد يتضرر منها عموم الناس ما ذكرناه عند استخدام وسائل التدخل الخشن.[1] بحيث لا ينتج عنها أثر عكسي.[2]

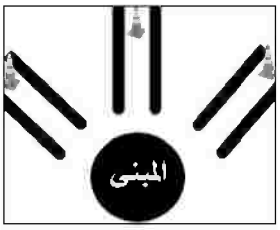

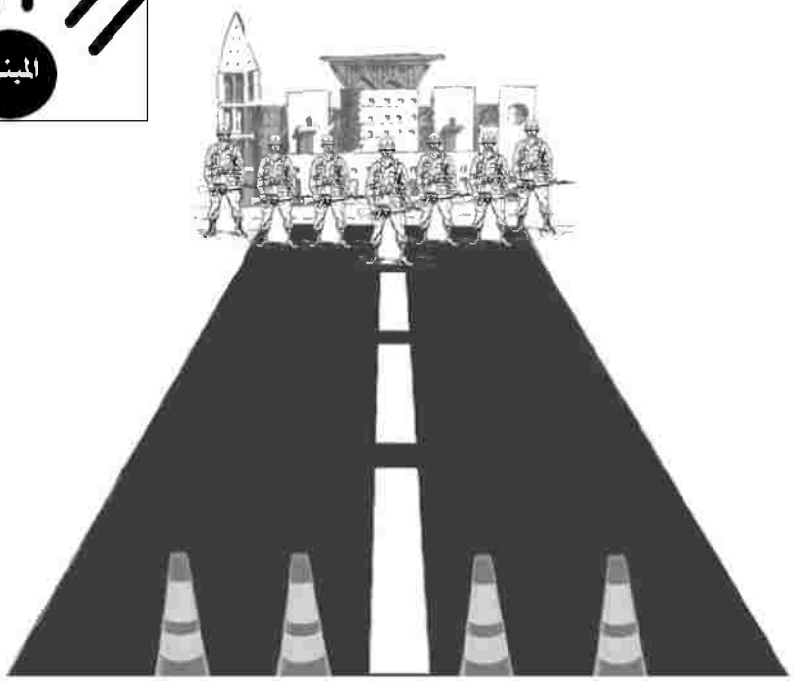

شكل 17: تقف قوات الأمن أمام المبنىٰ لتمنع الاقتراب منه، وترمز علامة «القُمع» إلىٰ إغلاق المحتجين للشوارع المؤدية للمبنىٰ، وهم بذلك ليسوا في حاجة للذهاب إليه. وقد نفذ هذا التكتيك متظاهرو سياتل في الولايات المتحدة الأمريكية وهم يحاصرون مبنىٰ اجتماع منظمة التجارة العالمية.

1 انظر قاعدة التدخل الخشن.

2 انظر قاعدة صناعة المعضلة.

أعمال الاقتراب غير المباشر: في هذه الأعمال يتم تجنب المواجهة تماماً مع القمع، ويتم الالتفاف عليه بعمل تكتيكات يصعب عليه التعامل معها، مثل جمع التوقيعات، أو الامتناع عن العمل، وكل الوسائل التي لا يترتب عليها احتكاك مباشر.

صورة 50: **من احتجاجات أعمال البناء في ميلانو، تركوا خوذاتهم بدلاً من الوقوف.**

صورة 51: **تظاهرة المقشات في البرازيل إحدىٰ مجموعات مقاومة الفساد ترص 594 مقشة بعدد أعضاء البرلمان علىٰ ساحل كاريوكا .**

ذكرنا هذه التكتيكات علىٰ سبيل المثال لتفتيح الآفاق، وتجنب حصر شكل الضغط الشعبي علىٰ نمط واحد من الفعل. وهذه التكتيكات قد لا تتناسب مع كل الحالات، وقد تناسب مجتمعات دون غيرها. واستقراء تجارب الشعوب لا يهدف إلىٰ استنساخ هذه التجارب في كل تربة، فلكل شعب بصمته. لكن العبرة أن العقل البشري قادر علىٰ تحقيق حلمه بأرقىٰ الوسائل، وأن المسار اللاعنيف جدير بالمجتمعات أن تبذل الجهود النظرية والعملية لتطويره وصقله، فالاطلاع الواسع يجعل العقل مشبعاً بثقافات متنوعة لاستخدامات اللاعنف، وهذا سبيل مهم للإبداع وخلق تجربة خاصة، تماماً مثل الفنان الذي يطلع علىٰ العديد من اللوحات ليشكل ثقافة فنية، هو لن ينسخ بعد ذلك لوحة قديمة، لكن تلك الثقافة تساعده في إبداع لوحة فنية جديدة.

سياسات التعامل مع القمع المحدود

كذلك فإن الفائدة الكبرىٰ من دراسة التجارب هي الاستفادة من منطق التفكير وليس الفكرة، من المنهج لا المنتج. فهناك منطق تفكير منضبط حكم كل هذه الاجتهادات السابقة وهي:

- الحفاظ علىٰ السمة الحضارية للمسار السلمي.
- تجنيب الاحتجاج مظاهر العنف التي قد يتسبب فيها المحتجون بسبب الحماس والغضب.
- الخط الأمامي للتظاهرة والذي يكون معرضاً للاشتباكات هو مساحة محرمة علىٰ عموم المحتجين، فهو مخصص لنوعية معينة من المحتجين الذين سيطبقون التكتيك، وهم الذين يعلنون مسئوليتهم الكاملة عن الحماية، ولا يسمحون لأحد أن يقف معهم إلا إن وجدوا هم حاجة لذلك، وتظل مسئولية الحماية في أعناقهم. وهي ليست مسئولية منع القمع بقدر ما هي مسئولية منع الاشتباك من طرف المحتجين، ومنع الوقوع في الخطأ.
- استنفاذ الجهد من التحضيرات اللازمة لإنجاح النشاط، من خلال المجموعات المتخصصة، مثل مجموعات الرصد في الصف الأمامي المزودة بكاميرات ترصد الاشتباكات في حالة وقوعها من قبل قوات القمع حتىٰ لا تترك القضية للقيل والقال ومن الذي استخدم العنف. ومجموعات رصد ديناميكية الحركة علىٰ الأرض (**موقف رجال القمع، موقف المحتجين، موقف عموم الناس ورضاها عما يجري**)، وذلك من أجل اتخاذ أفضل قرار. ومجموعات مراقبة الاعتقالات والتصرف السريع معها، ومجموعات التأمين التي تضمن عدم دخول

مخـرب، ومجموعـات الاتـصال التـي تـضمن تنـاغم المهـام بـين المجموعـات، إلىٰ آخـر ذلـك مـن المجموعـات التي تعمـل علىٰ تلبية الاحتياجات اللازمة للنشاط الناجح.

- الحرص علىٰ خلق حوار مع قوىٰ القمع.
- تأكيد السلمية من خلال تصميم تكتيات تزيل شبهة أي عنف.
- وضع قوىٰ القمع في موقف محرج في حالة تفكيرها في القمع بدون مبرر حقيقي. فحتىٰ لو فعلت لن تتمكن من اتهام المحتجين بالإرهاب.
- خلق معضلة لدىٰ النظام، إن تركهم ولم يقمعهم يكونون قد أوصلوا رسالتهم، وإن تصدىٰ لهم بعنف يتكشف مدىٰ قبح النظام وقسوته، وهو يرد بقسوة علىٰ عمل سلمي محض، هذا القمع يجعل قبح النظام ليس مجرد وجهة نظر لدىٰ فئة قليلة، ولكنها حقيقة مؤكدة يراها الجميع. يرونها في سلوك المحتجين وطريقة رد الفعل عليها.
- لا يفكر مقاوم اللاعنف في مخاطر القمع، بقدر ما يفكر في كيفية عرض قضيته، وكسب الجمهور إلىٰ صفه، وتحويل القمع إلىٰ أداة في صالحه. لذلك فهو لا يتحرك بمنطق عراك الشارع الذي يقوم علىٰ رد الفعل والثأر، هو يفكر في ضوء خطة كلية لكسب الجماهير، وكسب بعض قوىٰ القمع ولو علىٰ سبيل الوقوف المحايد. لذلك يضبط الحركة بالالتزام بأمرين: قضية عادلة، ووسائل راقية.
- العقوبة جزء من النشاط وليست أمراً سلبياً، خاصة إن تم التمسك بتكتيكات تؤكد الالتزام بمنهج اللاعنف من قبل المحتجين، حينها قد تلفت العقوبة الأنظار إلىٰ عدالة القضية ورقي وسائلها. لذلك نجد بعض المجموعات لا تقاوم الاعتقال، فهي تقوم بالنشاط ومستعدة لدفع

تكلفته، لتبرهن علىٰ أنها ليست ضد القانون كفكرة، ولكنها ضد القانون الجائر، وتستغل الاستجوابات والمحاكمات في إظهار عدالة القضية وإظهار فساد القانون الجائر. وقد كان غاندي يرىٰ أنه بعد خرق القانون الجائر، علىٰ الإنسان أن يقدم نفسه للمحاكمة، فهو ليس مجرماً هارباً من العدالة، وهو الرأي الذي اختلف حوله نشطاء اللاعنف حول العالم. وفي النهاية يمكن القول أنه أمر يخضع لدراسة كل حالة علىٰ حدة، وهل هي حالة في أجواء ثورية في لحظات حسم، أم حالة تعبير عن موقف وإيصال رسالة.

* * * *

الخلاصات

* ينقسم قمع السلاح إلىٰ قمع محدود: أسلحة غير مميتة، وقمع مفرط: أسلحة مميتة.
* تندرج التكتيكات تحت ست استراتيجيات أساسية: استراتيجية إزالة التوتر. واستراتيجية تقييد الذات، واستراتيجية إظهار الشجاعة، واستراتيجية الاقتراب الحذر (**في حالة المنشآت الحيوية**)، واستراتيجية التشتيت، واستراتيجية تجنب المواجهة.
* تشمل استراتيجية إزالة التوتر التكتيكات التالية: تقديم شخصيات لها وجاهة، و تقديم جيش المهرجين، وتقديم كبار السن والعائلات، وشغر الصفوف الأمامية بمجموعات مدربة، والجدار البشري الفاصل، و وضع ساتر كبير، والنوم والجلوس أرضاً في الصفوف الأمامية، و الجلوس أرضاً مع إعطاء الظهر لقوىٰ القمع.
* تشمل استراتيجية تقييد الذات التكتيكات التالية: سلسلة المواسير، السجين.
* تشكل استراتيجية إظهار الشجاعة التكتيكات التالية: الاستبسال، وعدم إبداء أي مقاومة في الاعتقال، وتسليم النفس للشرطة، والسعي لدخول السجن.
* تشمل استراتيجية الاقتراب الحذر التكتيكات التالية: تكتيك الزرافة، وحرف " **V** "، والنشاط الخاطف.
* تشمل استراتيجية التشتيت التكتيكات التالية: المسيرات المتحركة بدلاً

من الثابتة، ومسيرات الشوارع بدلاً من الميادين، واحتلال أكبر عدد ممكن من الميادين، والتظاهر في عدة مدن بدلاً من مدينة واحدة، والتلويح بوسيلة ثم استخدام وسيلة أخرىٰ.

* تشمل استراتيجية تجنب المواجهة التكتيكات التالية: حصار القوات، والاقتراب غير المباشر.

* * * *